ثمّة فيها صور رسمتها الكلمات فإذا هي مسموعات، وبها كلمات اصطكّت فيها الحروف بالحروف، لتبعث بروقاً تلقي ظلالاً، فإذا هنّ جميعاً مشهودات. فالصورة كلمة مرئية، والكلمة صورة مسموعة. ولقد كانت فاطمة عندئذ تسمع ما تنطق به الصور، وتشهد ما ترسم الكلمات ... وكانت صافية الذهن، يقظانة الوعي، صاحية الانتباه. ولقد تلوح شاردة النظر، غائصة اللون، معقودة الجبين، فلا يكون سهومها وشحوبها وقطوبها إلاّ أجنّة الألم النفسي التي تمخّضت عنها أرحام الهموم ... أوتتبدّى وفي عينيها بكاً[1314] تجمد، إذ شوى شجنها[1315] المحرق جفنيها، فقدّد[1316] الدموع ... أو تراها وعلى خدّيها عبرتان ثبتتا لا تبرحان، قد انغرستا فيهما انغراس حلقتي المغفر يوم أُحد في وجنتي الرسول الجريح. وربّما شِمْتَها، وهي كارهة لهذه الدنيا الخدّاعة، قد أثقلتها الحياة، وفدحتها المعاناة، فراحت تتحلّب شفتيها تحلّب الطفل ثدي أُمه الذي نضب[1317] لبنه، فازورّ[1318]عنه وهو أسيف. وأيّ الأحاسيس كان يعتلج[1319] في صدرها حينذاك؟ أفكان فمها مليئاً بالمرّ؟ كأنّه كان! كأنّ شفتيها ثمرتا حنظل! وكأنّ لسانها شريحة من الصبّار! أمّا فؤادها الشجيّ، فهو من ثقل أشبه بصخرة انحطّت من قمّة جبل شاهق، ثم